... فَاشْرَبْ هَنيئاً وعَافيَه...

عندما تفتح المصحف الشريف ، وتقرأ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١ـ ٣].

تتساءل بعدها عن أسباب النزول ، فتعود إلىٰ كتب أسباب النزول ، فترىٰ أمراً عجباً!!

لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، جاء أحد عتاة المشركين وهو العاص بن وائل ، فقال باستهزاء: يا محمد، أنت الأبتر ـ أي: مقطوع النسب ، حيث لا ولد ذكر يحمل اسمك ـ.

فردّ الله عليه بهذه السورة ، حيث بشّره بأنه قد أعطاه ﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾: أي: حوْضه ، وقيل: نهر في الجنّة ، وقيل: الخير الكثير ، وقيل: الشفاعة ، ثم أجاب عدوّه ، وردّ عليه قوله ، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ أي: إن مبغضك وعدوّك هو ﴿ٱلْأَبْتَرُ﴾: الحقير الذليل ، أو الذي لا خير فيه ، أو المنقطع النسب[1].

وكثيرٌ من أمثال هذه الآيات والسّور التي تدلّ علىٰ ما أظهره الله تعالىٰ في كتابه العزيز من كرامته عليه ، ومكانته عنده ، مثلاً قول الله تعالىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي: ٥٠٣ ـ ٥٠٤.

هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

وعلّق القاضي عياض رحمه الله علىٰ هذه الآية بقوله: وما دفع الله به عنه ـ أي: عن رسول الله ﷺ ـ في هذه القصة ـ أي: قصة الهجرة من مكة إلى المدينة ـ من أذاهم بعد تحزّبهم لهُلْكه وخلوصهم نجيّاً في أمره، والأخذ علىٰ أبصارهم عند خروجه عليهم، وذهولهم عن طلبه في الغار، وما ظهر في ذلك من الآيات، ونزول السكينة عليه[1].

أجل يا رسول الله!

هكذا يؤكّد القرآن الكريم علىٰ عظمة مكانتك، وعلوّ قدرك، وما أكثر الآيات والسّور التي تدلّ بوضوح وجلاء علىٰ هذا الأمر، عرف ذلك من عرف، وجحده من جحد!!.

ولقد شكوتُ إلىٰ طبيبي علّتي ... مما اقترفتُ من الذنوب الجانية
وصفَ الطبيبُ شراب مدح المصطفىٰ ... فهو الشّفا فاشرب هنيئاً عافيه

* * *

(١) الشفا: ٩٣ ـ ٩٤.